جامعة الأزهر
كلية أصول الدين
والدعوة بالمنوفية

معالم الآيات الكونية عند الإمام الغزالي(ت:٥٠٥هـ) وآثارها الدعوية من خلال كتابه الحكمة في مخلوقات الله

الدكتور

إبراهيم أحمد محمود محمد

مدرس الدعوة والثقافة الإسلامية - كلية أصول الدين والدعوة
بالزقازيق - جامعة الأزهر - مصر

معالم الآيات الكونية عند الإمام الغزالي (ت:٥٠٥هـ) وآثارها الدعوية من خلال كتابه الحكمة في مخلوقات الله

إبراهيم أحمد محمود محمد
قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، كلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق، جامعة الأزهر، مصر.
البريد الإلكتروني: dribrahim875@gmail.com

الملخص:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد الداعي إلى الله على بصيرة ويقين، وعلى آله وصحبه الطيِّبين الطاهرين، وبعد..،

فالعلم بالآيات الكونية واجب وجوبًا شرعيًا على بني البشر، قال تعالى: {**قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ**} فالكون كتاب الله المنظور، كما أن القرآن كتاب الله المسطور، ومن خلال الأمر الإلهى بالنظر والتفكر في السموات والأرض، أردت التعرف على معالم الآيات الكونية وأثارها الدعوية من خلال مُؤَلفٍ عظيم للإمام أبي حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ) (رحمه الله)، وهو كتاب الحكمة في مخلوقات الله.

وجاء هذا البحث في مقدمةٍ، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، أما المقدمة تضمنت: أهمية البحث وأسباب اختياره، وتساؤلات البحث، الدراسات السابقة، وخطته، وأما التمهيد فجاء بعنوان: الإمام الغزالي وكتابه الحكمة في مخلوقات الله، وأما المبحث الأول: أبرز معالم في كتاب الحكمة في مخلوقات الله، وأما المبحث الثاني: الآثار الدعوية للآيات الكونية من خلال

كتاب الحكمة في مخلوقات الله، وأما الخاتمة، فقد اشتملت على نتائج البحث، هذا، وما كان من توفيقٍ فمن الله وحده، وما كان من خطأٍ أو تقصيرٍ فمن نفسي، والله ورسوله بريء منه، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمَّد وآله وصحبه أجمعين.

الكلمات المفتاحية: معالم، الآيات، الكونية، آثارها، الدعوية، الحكمة، مخلوقات، الإمام الغزالي.

The Features of the Cosmic Verses of Imam Al-Ghazali (d.: 875 AH) and their Advocacy Effects Through his Book Wisdom in God's Creatures

Ibrahim Ahmed Mahmoud Mohamed

Department of Islamic Da'wah, Faculty of Fundamentals of Religion and Da`wah, Zagazig, Al-Azhar University, Egypt.
Email: dribrahim875@gmail.com

Abstract

Praise be to God, Lord of the worlds, and prayers and peace be upon the one who was sent as a mercy to the worlds, and upon his good and pure family and companions, and after،...
Knowledge of the cosmic signs is obligatory and legally obligatory for human beings. The Almighty said: {Say, “Behold what is in the heavens and the earth.” Nor do signs and warnings avail a people who do not believe{.

The universe is the visible book of God, just as the Qur’an is the written book of God, and through the divine command to look and reflect on the heavens and the earth, I wanted to learn about the features of the cosmic verses and their advocacy effects through a great author of Imam Abi Hamid Al-Ghazali (d. 505 AH), may God have mercy on him, which is the book of wisdom in God’s creatures.

This research came in an introduction, a preface, two chapters, and a conclusion. As for the introduction, it included: the importance of the research, the reasons for its selection, research questions, previous studies, and its plan. Wisdom is in God's creatures, and as for the second topic: the advocacy effects of the cosmic verses through the book Wisdom in God's Creatures, and as for the conclusion،

It included the results of the research, this, and whatever was successful is from God alone, and whatever was of error or shortcoming is from myself, and God and His Messenger are innocent of it, and praise be to God, Lord of the worlds, and may God’s blessings and peace be upon our Master and Lord Muhammad and his family and companions all.

Keywords: landmarks, Verses, Cosmic, Effects, Advocacy, Wisdom, Creatures, Imam Al-Ghazali.

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد الداعي إلى الله على بصيرة ويقين، وعلى آله وصحبه الطيِّبين الطاهرين، **وبعد،،،**

فالحديث عن جلال الباري (ﷻ) وحكمته في مخلوقاته يجعل العبد يقف عاجزًا، فبأي شئ يبتدئ كلامه، وبأي شئ ينتهي، وعن أي جانب من جوانب العظمة يتكلم، فالكون شاهد بنفسه على عظمة خالقه، وقدرة بارئه وموجده من العدم.

والعلم بالآيات الكونية واجب وجوبًا شرعيًا على بني البشر، قال تعالى: {قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ}(١)، وقال (ﷻ): **{قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}**(٢).

فالكون كتاب الله المنظور، كما أن القرآن كتاب الله المسطور، ومن خلال الأمر الإلهى بالنظر والتفكر في السموات والأرض، أردت التعرف على معالم الآيات الكونية وأثارها الدعوية من خلال مُؤَلَّفٍ عظيم للإمام أبي حامد الغزالي (رحمه الله)، وهو كتاب: **الحكمة في مخلوقات الله**(٣).

---

(١) [يونس: ١٠١].

(٢) [العنكبوت: ٢٠].

(٣) **البيانات الوصفية:** اسم الكتاب: الحكمة في مخلوقات الله، مؤلف الكتاب: الإمام أبو حامد الغزالي ت: ٥٠٥هـ)، عدد صفحات الكتاب: ١١٥ صحيفة، محقق الكتاب: د. محمد رشيد قباني أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق- جامعة بيروت)، طباعة: مطبعة=

وقد دفعني لاختيار هذا الموضوع ما يأتي:

أولاً: أن كتاب الحكمة في مخلوقات الله، لم تقم عليه دراسات دعوية كغيره من مصنفات الإمام الغزالي.

ثانيًا: أنَّ المعالم الكونية في هذا الكتاب جاءت مبثوثة فيه دون التنصيص عليها، فأردت إبرازها.

ثالثًا: أنَّ لهذه المعالم آثارًا دعوية تتعلق بالخالق (ﷻ) وأخرى تتعلق بالمخلوق، فقصدت بيانها.

=فينوس- بيروت، توزيع: دار إحياء العلوم- بيروت، الطبعة الأولى: ١٩٧٨م=١٣٩٨هـ.

عرض مضمون الكتاب: يتكون الكتاب من مقدمة وخمسة عشر بابًا، بين فيها الإمام الغزالي الآتي:

أولاً: سبب تأليفه لكتابه حيث يقول: "إنه لما كان الطريق إلى معرفة الله (ﷻ) التعظيم له في مخلوقاته، والتفكر في عجائب مصنوعاته، وفهم الحكمة في أنواع مبتدعاته، وكان ذلك هو السبب لرسوخ اليقين، وفيه تفاوت درجات المتُّقين، وضعت هذا الكتاب لعقول أرباب الألباب، بتعريف وجوه من الحكم والنعم التي يُشير إليها معظم آي الكتاب، فإنَّ الله تعالى خلق العقول، وكمَّل هُداها بالوحي، وأمر أربابها بالنظر في مخلوقاته، والتفكر والاعتبار بما أودعه من العجائب في مصنوعاته، لقوله (ﷻ): {**قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**}.

ثانيًا: بيَّن الإمام (رحمه الله) أن ما ذكره من الحكمة في المخلوقات حسب الطاقة البشرية، وحسب ما وهبه الله له من الفهم، فقال: "وقد بوَّبته أبوابًا، يشتمل كل باب منها على ذكر وجه الحكمة من النوع المذكور فيه من الخَلق، وذلك حسب ما تنبهت له عقولنا فيما أشرنا إليه، مع أنه لو اجتمع جميع الخلائق على أن يذكروا جميع ما خلق الله (ﷻ)، وما وضع من الحِكَم في مخلوقٍ واحدٍ من مخلوقاته، لعجزوا عن ذلك، وما أدركته الخلائق من ذلك هو ما وهب الله (ﷻ) لكلٍ منهم، وما سبق له من ربه (ﷻ).

رابعًا: أنَّ الإمام الغزالي (رحمه الله) جمع بين الموسوعية الفقهية، والريادة الفلسفية، والنزعة الصوفية الروحية، فأردت إبرازه من خلال تناوله للآيات الكونية كفرعٍ أصيل من فروع الدعوة.

خامسًا: أنَّ الآيات الكونية وسيلة من أهم الوسائل الدعوية، وقد برز الإمام الغزالي فيها، فسلطت الضوء على ذلك.

سادسًا: أنَّ التفكر في مصنوعات الله وسيلة لرسوخ اليقين في قلوب عباده المستبصرين، وطريق لدلالة الخلق على الله وتوحيده، وتنزهيه (ﷻ) عن كل ما لا يليق به.

تساؤلات البحث:

يجيب هذا البحث عن عدة أسئلة يمكن صوغها على النحو الآتي:

س١: مَنْ الإمام الغزالي، وما منهجه في كتابه الحكمة في مخلوقات الله؟

س٢: ما أبرز معالم الآيات الكونية عند الإمام الغزالي في كتابه الحكمة في مخلوقات الله؟

س٣: ما الآثار الدعوية للآيات الكونية من خلال كتاب الحكمة في مخلوقات الله؟

س٤: كيف يمكن الاستفادة من معالم الآيات الكونية في الواقع المعاصر؟

الدراسات السابقة:

بعد البحث والتقصي لم أقف على دراسة تتعلق بهذا الكتاب، سوى دراسة واحدة بعنوان: (قراءة في كتاب الغزالي الحكمة في مخلوقات الله)[١] للباحثة: عبيدة خليل الشبلي، جاء البحث في أربع عشر صفحة، قامت الباحثة في

(١) **مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية** – المركز القومي للبحوث بغزة، العدد الأول، المجلد الثاني، لسنة ٢٠١٨م.

المبحث الأول: بتعريف الإمام الغزالي من حيث: اسمه ونسبه ومولده، ونشأته في العلم، وشيوخه وتلاميذه، وأثاره ووفاته، وفي المبحث الثاني: قامت الباحثة بذكر الأبواب التي يدور عليها الكتاب، دون تناولها لأي شئ منها بالدراسة أو غيره، فجاء بحثها بياناً موجزًا للأبواب التي اشتمل عليها الكتاب، ولم تتعرض لإظهار معالم الآيات الكونية أو آثارها الدعوية، لكنها يُحمد لها أنها سلطت الضوء على الكتاب؛ لذا استعنت بالله (ﷻ) وقصدت إبراز معالم الآيات الكونية وآثارها الدعوية، من خلال هذا الكتاب ببحث عنونت له بـــ: **(معالم الآيات الكونية عند الإمام الغزالي(ت: ٥٠٥هـــ) وآثارها الدعوية من خلال كتابه: الحكمة في مخلوقات الله).**

خطة البحث:

جاء هذا البحث في مقدمةٍ، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، أما المقدمة تضمنت: أهمية البحث وأسباب اختياره، وتساؤلات البحث، الدراسات السابقة، وخطته.

وأما **التمهيد** فجاء بعنوان: الإمام الغزالي وكتابه الحكمة في مخلوقات الله، وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول:** التعريف بالإمام الغزالي (رحمه الله).
- **المطلب الثاني:** عرض موجز لمنهج الكتاب.

وأما المبحث الأول: أبرز معالم الآيات الكونية في كتاب الحكمة في مخلوقات الله، وفيه أربعة مطالب:

- **المطلب الأول:** التخطيط والتنظيم.
- **المطلب الثاني:** التسوية والتقدير.
- **المطلب الثالث:** التوافق والتوازن.
- **المطلب الرابع:** العناية والتدبير.

وأما المبحث الثاني: الآثار الدعوية للآيات الكونية من خلال كتاب الحكمة في مخلوقات الله، فيه مطالبان:

- **المطلب الأول:** الآثار الدعوية المتعلقة بالخالق .
- **المطلب الثاني:** الآثار الدعوية المتعلقة بالمخلوق.

وأما الخاتمة، فقد اشتملت على نتائج وتوصيات البحث، أما الفهارس، فتشمل: فهرس المراجع، فهرس الموضوعات.

هذا، وما كان من توفيقٍ فمن الله وحده، وما كان من خطأٍ أو تقصيرٍ فمن نفسي، والله ورسوله بريء منه، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمَّد وآله وصحبه أجمعين.

تمهيد

المطلب الأول

التعريف بالإمام الغزالي (رحمه الله)[1].

أولا: اسمه ونسبه، ولقبه، وكنيته، ونسبته:

هو الشيخ الإمام البحر، أعجوبة الزمان، زين العابدين[2]، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي[3]، الشافعي، الغزالي، حجَّة الْإِسْلَام، ومحجة الدّين الَّتِي يتَوَصَّل بهَا إِلَى دَار السَّلَام، جَامع أشتات الْعُلُوم، والمبرز فِي الْمَنْقُول مِنْهَا وَالْمَفْهُوم[4]. أحد أئمة الشافعية في التصنيف والترتيب والتقريب والتعبير والتحقيق والتحرير[5]. الْفَقِيه، الْمُتَكَلّم، النَّظَّار، المُصَنِّف، الصُّوفِي[6].

---

(١) ينظر ترجمته: تاريخ دمشق، لابن عساكر ٥٥ /٢٠٠)، طبقات الفقهاء الشافعية، لابن الصلاح ٢٤٩/١)، وفيات الأعيان، لابن خلكان ٢١٦/٤)، سير أعلام النبلاء، للذهبي ٣٢٢/١٩ – ٣٢٣)، طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي ١٩١/٦)، طبقات الشافعيين، لابن كثير ص: ٥٣٣).

(٢) ينظر: سير أعلام النبلاء ١٩ /٣٢٢).

(٣) **الطُّوسيُّ**: بضم الطاء المهملة وفي آخرها السين المهملة أيضًا، هذه النسبة إلى بلدة بخراسان يقال لها طُوس)، وهي محتوية على بلدتين، يقال لإحداهما «الطابران» وللأخرى «نوقان» ولهما أكثر من ألف قرية، وكان فتحها في خلافة سيدنا عثمان بن عفان (رضي الله عنه) على يدي عبد الله بن عامر بن كريز في سنة تسع وعشرين من الهجرة، خرج منها جماعة من العلماء والمحدثين قديما وحديثا. ينظر: معجم البلدان، لياقوت الحموي ٤٩/٤) ، الأنساب، للسمعاني ٩٥/٩)، لب اللباب في تحرير الأنساب، للسيوطي ص: ١٧٠).

(٤) ينظر: طبقات الشافعية الكبرى ١٩١/٦).

(٥) ينظر: طبقات الشافعيين ص: ٥٣٣).

(٦) ينظر: طبقات الفقهاء الشافعية ٢٤٩/١).

لُقِّبَ بـــ "الغَزَالي" نسبةً إلى "غزالة" بتخفيف الزَّاي، وهي بلدتُه التي ولد فيها، وهي نسبةٌ صحيحة من حيث اللغة، والبعض نسَبَهُ "الغزَّالي" بتشديد الزاي، نسبةً إلى الغزَّال، وهي حرفة والده التي كانت يكتسب منها، وهي نسبة صحيحة أيضًا(١).

ثانيًا: مولده ونشأته:

وُلِدَ في مدينة طوس بخرسان، تقع شمال شرق إيران وتسمى الآن بـــ: "شهر"، وذلك سنة٤٥٠هـــ= ١٠٥٨م.

نشأ الغزالي في بيتٍ صالح، فقد كان والده (رحمه الله) رجلًا صالحًا؛ إلا أنه كان فقيرًا لا يملك غير حرفته، محبًا للعلم والعلماء، وكانت لديه رغبة شديدة في تعليم ولَدَيه محمد وأحمد العلم النافع، ولكن ألمَّ به مرض عضال، فأوصى قُبيل وفاته بابنيه إلى صديقٍ له، وأعطاه ما لديه من مالٍ يسيرٍ، وأوصاه بتعليمهما وتأديبهما، وقد اجتهد الرجل في تنفيذ وصية الأب على خير وجهٍ؛

حتى نفذ ما تركه لهما أبوهما من المال، وتعذر عليه القيام برعايتهما والإنفاق عليهما، فألحقهما بإحدى المدارس التي كانت منتشرة في ذلك الوقت، والتي كانت تكفل طلاب العلم فيها، فيعيشان منها ويتعلمان.

واستقر المقام بالإمام الغزالي في نيسابور فترة طويلة حيث تزوج وأنجب، وظل بها حتى تُوفي شيخه الإمام الجويني في عام ٤٧٨هـــ= ١٠٨٥م، فغادرها وهو لم يتجاوز الثامنة والعشرين من عمره.

(١) ينظر: اللباب في تهذيب الأنساب، لابن الأثير ٣٧٩/٢)، سير أعلام النبلاء ١٩ /٣٤٣)، لب اللباب في تحرير الأنساب ص: ١٨٦).

ثالثا: مكانته العلمية، وثناء العلماء عليه:

للإمام الغزالي (رحمه الله) مكانتة العلمية التي وصلت الآفاق، فقد جمع بين الموسوعية الفقهية، والريادة الفلسفية، والنزعة الصوفية الروحية، **قال عنه العراقي:** لم تر العيون مثله لسانًا، وبيانًا، ونطقًا، وخاطرًا، وذكرًا، وطبعًا[١]، **وقال ابن خلكان:** لم يكن للطائفة الشافعية في آخر عصره مثله[٢]، **وكان الإمام فخر الدين يقول:** كأن الله جمع العلوم في قبة وأطلع الغزالي عليها[٣]، **وقال عنه تاج الدين السبكي:** أبو حامد كان أفقه أقرانه، وإمام أهل زمانه، وفارس ميدانه، كلمته شهد بها الموافق والمخالف، وأقر بحقيتها المعادى والمحالف[٤].

رابعا: شيوخه وتلاميذه:

قرأ الغزالي في صباه طرفًا من الفقه ببلده طوس على أستاذه أحمد بن محمد الراذكاني[٥]، ثم شدَّ الرحال إلى جرجان، فأخذ عن الإمام أبي نصر الإسماعيلي، ثم انتقل إلى نيسابور– وهي عاصمة الدولة السلجوقية، ومدينة العلم بعد بغداد– سنة ٤٧٣هـ، والتحق بالمدرسة النظامية، حيث تلقى فيها علم أصول الفقه، وعلم الكلام، والمنطق، على الإمام أبي المعالي الجويني أمام الحرمين ولازمه، وجدَّ واجتهد حتى برع في المذهب، والخلاف، والجدل، والأصول، وأعجب الجويني بذكائه، وغوصه على المعاني الدقيقة، واتساع

(١) **المنتخب**، من كتاب السياق لتاريخ نيسابور، لتقي الدين العراقي ص: ٧٧).
(٢) **وفيات الأعيان** ٢١٦/٤)، وينظر: الوافي بالوفيات، للصفدي ٢١١/١).
(٣) **الوافي بالوفيات** ٢١٢/١).
(٤) **طبقات الشافعية الكبرى** ١٩٤/٦).
(٥) **تاريخ الإسلام**، للذهبي ٦٢/١١).

معلوماته، فكان الجويني يقول: "الغزالي بحر مغدق"[١]، وفاق أقرانه- وهم أربعمائة- حتى أصبح معيدًا لأستاذه، ونائبًا عنه[٢].

كما سمع أبا محمد بن عبد الجبار بن محمد البيهقي، وأبا بكر وجيه بن طاهر الشحامي، وأبا الفتوح عبد الوهاب بن شاه الشادياخي، وأبا الأسعد هبة الرحمن بن عبد الواحد القشيري، وأبا سعيد محمد بن يحيى الجنزي الفقيه وعنه أخذ علم الخلاف[٣].

خامسا: مؤلفاته:

صنف الإمام الغزالي (رحمه الله) الكتب المفيدة في عدة فنون، أشهرها كتاب "البسيط" و "الوسيط" و "الوجيز" و "الخلاصة" في الفقه، ومنها "إحياء علوم الدين" وهو من أنفس الكتب وأجملها، وله في أصول الفقه "المستصفى"، وله المنحول والمنتحل في علم الجدل، وله تهافت الفلاسفة، ومحك النظر، ومعيار العلم، والمقاصد، والمنقذ من الضلال، وحقيقة القولين، وكتبه كثيرة وكلها نافعة[٤].

---

(١) كان إمام الحرمين أستاذًا بصيرًا بتلاميذه، يُحسن رعايَتهم ويشجعُهم، ويسعَد بنباهتهم ونبوغِهم، وقد وردت عنه كلماتٌ تدل على أستاذيةٍ ماهرةٍ حاذقةٍ، فقد كان الغزالي والكيا الهراسي والخَوافي أندادًا، وتناظروا يومًا أمامه، فقال موازنًا بينهم: "التحقيق للخَوافي، والجزئيات للغزالي، والبيان للكيا" وقال مرة أخرى: "الغزالي بحر مغدق، والكيا أسد محدق، والخَوافي نار تحرق " الغزالي: دكتور أحمد فريد الرفاعي: ٩٨/١، ٩٩)، ينظر: طبقات الشافعية الكبرى ١٩٦/٦).

(٢) **طبقات الشافعية الكبرى** ١٩١/٦).

(٣) **تاريخ دمشق** لابن عساكر ٢٠٤/٥٥).

(٤) **وفيات الأعيان** ٢١٨/٤)، وينظر: الوافي بالوفيات ٢١١/١)، طبقات الشافعية، لابن قاضي شهبة ٢٩٣/١).

سادسا: وفاته:

كانت وفاته (رحمه الله) بطوس يوم الاثنين رابع عشر جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة، ودُفِنَ بمقبرة الطابران ببلده[1]. رحم الله الإمام الغزالي، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

(١) ينظر: وفيات الأعيان ٢١٨/٤)، سير أعلام النبلاء ٣٢٣/١٩)، طبقات الشافعية الكبرى ٢٠١/٦)، مغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار، لبدر الدين العيني ٤٣٦/٣).

المطلب الثاني
عرض موجز لمنهج الإمام الغزالي في كتابه الحكمة في مخلوقات الله

ذكر الإمام الغزالي (رحمه الله) في كتابه "الحكمة في مخلوقات الله" كثيرًا من الحِكَم التي يتطلَّع الإنسان إلى معرفة أسرارها، فقد بحث فيه عن حكمة خلق الشمس، والقمر، والكواكب، والأرض، والبحار، والماء، والهواء، والنار، والإنسان، والطير، والبهائم، والنحل، والنمل، والعنكبوت، ودود القز، والذباب، والسمك، والنبات؛ وبيَّنَ في كل باب ما فيه من عجائب حكمة الله تعالى في خلقه، وما تستشعر به القلوب من العظمة لِعلَّام الغيوب، فهو كتاب جدير بأن يُقتنى ويفيد منه كل إنسان، ومن هنا كان اهتمامي بالبحث فيه، وتسليط الضوء عليه.

ومن خلال قراءة الكتاب يتضح منهج الإمام الغزالي في النقاط الآتية:

أولاً: يصدر الإمام الكلام بأية قرآنية، تتناسب مع الموضوع الذي يريد الحديث عنه، ويسير في رحابها.

ثانيًا: يستشهد على ما يقوله بآيات أخرى.

ثالثًا: يربط بين الموضوع الذي يتكلم فيه، وما يتعلق به من آيات كونية أخرى، مثل حديثه في حكمة خلق البحر مثلًا، فإنه يتحدث عن خلق الأخشاب التي تدخل في صناعة السفن، وكذلك حديثه عن الرياح التي تُسَيِّر السفن، والماء الذي تَسِيرُ فيه السفن، وهكذا.

رابعًا: ينوع في استخدام الأساليب الدعوية، مثل أسلوب التشبيه، وطرح السؤال، وضرب المثل، وغيرها مما يتضح أثناء العرض والتحليل لكلامه (رحمه الله).

ولنأخذ مثلًا يوضح منهجه سالف الذكر، كلامه عن الحكمة في خلق البحر:

سار الإمام (رحمه الله) في عرضه للحكمة من خلق البحر وفق الأية الكريمة: {وَهُوَ الَّذِى سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}(١).

فذكر أربعة محاور هي:

أولاً: تسخير البحر على اتساعه، مصداقًا لقوله تعالى: {**وَهُوَ الَّذِى سَخَّرَ الْبَحْرَ**}.

ثانيًا: ما في البحر من كائنات، تبعًا لقوله تعالى: {**لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا**}.

ثالثًا: حديثه عما يستخرج من البحر من حلية: {**وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا**}.

رابعًا: حديثه عن السفن التي تسير في البحر: {**وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ**}.

وبهذا المنهج الذي سار عليه الإمام الغزالي (رحمه الله) يبين أنَّ التفكر في مخلوقات الله وسيلة لرسوخ اليقين في قلوب عباده المستبصرين.

(١) [النحل: ١٤].

المبحث الأول
أبرز معالم الآيات الكونية في كتاب الحكمة في مخلوقات الله

من الأمور المسلَّم بها أن الآيات الكونية تعمل وفقًا لسننٍ عامةٍ، ومعالمَ أساسيةٍ تسيرُ عليها، تعد من الثوابت التي لا تقبل التغيير، فإذا نظرنا إلى جميع الآيات الكونية نجد أن الله تعالى قد خلقها وفق تخطيطٍ وتنظيمٍ محكمٍ، وجعل لها من التسوية والتقدير ما يجعلها تقوم بمهامها على الوجه الأكمل، ولها من التوازن والتوافق ما يحفظ تناسقها، وأحاطها (ﷻ) بعناية وتدبير، ومن ثمَّ فإن جميع الآيات الكونية يتحقق فيها المعالم الأربعة؛ ولذا فإن التمييز بين تلك المعالم يحتاج إلى دقة نظر، وشدة تركيز، وطول تأمل، وهو ما يتضح في المطالب الآتية:

المطلب الأول
التخطيط والتنظيم

المتأمل في خلق العالم يجد أنه مقسم إلى أقسام رئيسة، وكل قسم منها مقسم إلى مخلوقاتٍ وأصنافٍ متعددةٍ، وهذه المخلوقات كبيرها وصغيرها يعمل في نظام داخلي يخص نوعه، ونظام خارجي يخص المجموع، ومن خلال هذا التنظيم يؤدي كل مخلوقٍ دوره في الحياة بانتظام بعيدًا عن التداخل، أو التصادم، أو التخلف.

ومن دقة هذا التخطيط والتنظيم أنه لا يسمح بالتجاوز في الأداء، كما قال تعالى: {لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ}(١).

(١) [يس: ٤٠].

ولذلك أمارات هي: الفصل بين المخلوقات المتجاورة تبعًا لحكمة يعلمها الخالق (ﷻ)، وتقتضيها المصلحة العامة للكون والإنسان، كما قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا}(١).

ومن خلال هذا التنظيم في أصل الخلق، جاء التنظيم في دورة العمل، والقيام بالدور المطلوب الذي يحقق المنافع العامة والخاصة(٢).

وقد أجاد الإمام الغزالي في عرضه لهذا المعلَم، الذي يقتضي ضرورة وجود خالق وراء هذا التنظيم العجيب والتقسيم الدقيق، إنه الله العلي القدير.

فكان هذا المعلَم واضحًا في عرضه لجميع المخلوقات التي تناولها الإمام في كتابه، وفيما يلي عرض لبعض النماذج الدالة على ذلك:

النموذج الأول: في التفكر خلق السماء وهذا العالم

قال الإمام الغزالي: "اعلم– رحمك الله– إذا تأملت هذا العالم بفكرك وجدته كالبيت المبني المعد فيه جميع ما يحتاج إليه، فالسماء مرفوعة كالسقف، والأرض ممدودة كالبسط، والنجوم منصوبة كالمصابيح ....، وكل شيء من ذلك معد مهيأ لشأنه"(٣)

والمتأمل في كلام الإمام يجد أن مَعلَم التخطيط والتنظيم واضحًا تمامًا حيث شبه العالم كالبيت المبني، ومعلوم أن الإنسان إذا بنى بيتًا، فإنه يخططه وينظمه، ويرسم تفاصيله قبل أن يبنيه، فشبه السماء في ارتفاعها بالسقف، كقوله

---

(١) [الفرقان: ٥٣].

(٢) ينظر: الآيات الإنسانية والكونية وسائل دعوية وهداية ربانية، ص ٣٥ بتصرف، د. محمدي عبد البصير، مطبعة الصواف بالزقازيق ١٤٣١هـ=٢٠١٠م.

(٣) **الحكمة في مخلوقات الله**، ص١٥.

تعالى: {وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ}[١]، أطلق السقف على السماء على طريقة التشبيه البليغ، أي: جعلناها كالسقف؛ لأن السماء ليست موضوعة على عمد من الأرض[٢].

وقد تمكن العلماء مؤخرًا من اكتشاف ما يُسمى بالخيوط الكونية التي تربط عناصر الكون، كما تعرفوا على طبيعة هذه الخيوط التي تماثل الأعمد[٣].

والعلم الحديث يفسر السقف المحفوظ بالغلاف الجوي الذي يمتد من سطح الأرض إلى حوالي ألف كيلو متر مكوناً سماء الدنيا وسقفها المحفوظ، الذي يحفظ لنا هذا الهواء، حتى لا يهرب من جو الأرض فتهرب معه الحياة[٤]، وتعمل غازاته على حفظ الأرض من الأضرار التي تنتج عن تساقط الشهب والنيازك[٥]، كذلك هيأ الله للإنسان صمام أمان في الجو تنفذ منه الأشعة فوق البنفسجية بما يكفي حاجة الأحياء دون زيادة أو نقصان، وهذا الصمام هو غاز الأوزون العجيب الموجود على ارتفاع عالٍ في الغلاف الجوي[٦] فالسماء محروسة أن يُنال منها.

---

(١) [الأنبياء: ٣٢].

(٢) **التحرير والتنوير** ٥٨/١٧).

(٣) ينظر: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم في مجال الآفاق، ص٤٧٤، د. محمد كرم الله حسن الظواهري، ط: دار الفوائد، الأولى ١٤٤٢=٢٠٢٠م.

(٤) ينظر: الغلاف الجوي سقف محفوظ، ص٦، د. منصور محمد حسب النبي، ط: دار الفكر العربي- القاهرة ٢٠١٠م.

(٥) **من الإعجاز العلمي في القرآن**، ص٧٧، د. حسن أبو العنين، الطبعة الأولى، مكتبة العبيكان- الرياض، ١٤١٦ه=١٩٩٦م.

(٦) ينظر: الموسوعة الكونية الكبرى، ص٢١١، د. ماهر أحمد صوفي،ط: المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، الأولى ١٤٢٨هـ=٢٠٠٧م.

وشبه الأرض في مدها كالبُسط، وهو: امْتِدَادُ الشَّيْءِ، فِي عِرَضٍ أَوْ غَيْرِ عِرَضٍ(١)، وأصل البَسط النَّشْرُ والتَّوْسيعُ(٢)، والبساط: ما يُفرش للجلوس والنوم عليه، ووجه الشبه تناسب سطح الأرض في تعادل أجزائه بحيث لا يوجع أرجل الماشين ولا يقض جنوب المضطجعين(٣).

فالأرض في بادئ الأمر كانت جَبَلِيَّة وَعِرَة، لا تسمح وعورتها بعمرانها، ثم بدأت عوامل التعرية في الأخذ من تلك الجبال الشاهقة بالتدريج حتى حولتها إلى السهول الواسعة، حتى وصلت الأرض إلى صورتها المناسبة للعمران، ولو بقيت جبالًا شاهقة الارتفاع لما أمكن العيش على سطحها(٤).

وشبه النجوم بأنها منصوبة كالمصابيح؛ لأن النجم جسم غازي حار متوهج(٥)، واعتقد الأقدمون أن النجوم ثابتة عدديًا، لكن الاكتشافات الحديثة أوضحت أنَّ النجوم تولد باستمرار وتشيخ وتموت(٦)، ومَن ينظر إلى السماء في ليلة ظلماء تطالعه النجوم اللانهائية تتألق بعيدًا فيسحره جمالها ويأسره نظامها(٧)، فهي فعلًا منصوبة كالمصابيح كما قال الإمام الغزالي لتهدي الحيارى، قال تعالى: {وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ}(٨).

---

(١) **مقاييس اللغة** ٢٤٧/١).

(٢) **تاج العروس** ١٤٣/١٩).

(٣) **التحرير والتنوير** ٢٠٥/٢٩).

(٤) **من آيات الإعجاز العلمي الأرض في القرآن الكريم**، ص٢٠٩، د. زغلول النجار، ط: دار المعرفة– بيروت– الأولى ١٤٢٦هـ= ٢٠٠٥م.

(٥) **الموسوعة الكونية الكبرى** ص١٥٠.

(٦) المصدر السابق، ص١٣٣.

(٧) ينظر: للكون إله قراءة في كتابي الله المنظور والمسطور، ص١٨٣، د. صبري الدمرداش، مكتبة المنار الإسلامية– الكويت، ط: الثانية ١٤٢٧= ٢٠٠٦م.

(٨) [النحل: ١٦].

ومما يؤكد على وضوح هذا المعلَم في ذهن الإمام قوله: "وكل شيء من ذلك معد مهيأ لشأنه"، فالإعداد والتهيئة يقتضيان التخطيط والتنظيم.

النموذج الثاني: في خلق القمر والكواكب

ومن مظاهر التخطيط لهذا النظام الكوني أنَّ الله تعالى وضعه على هيئة من الاتقان تقتضي بقاءه إلى نهاية أمر الدنيا، **قال الإمام الغزالي** (رحمه الله): "**ومن عظيمِ الحكمةِ خلقُ الأفلاكِ التي بها ثباتُ هذا العالم على نهايةٍ من الإتقانِ؛ لطول البقاء، وعدم التغير، فقد كُفِيَ الناس التغير في هذا الأمر الجليل الذي ليس لهم قدرة ولا حيلة في إصلاحه، ولو نزل به تغُّير؛ فإنه يوجب أمرًا في الأرض، إذ قوام الأرض مرتبط بالسماء، فالأمر في جميع ذلك ماضٍ على قدرةِ الباري** (سبحانه وتعالى)**، لا يختل، ولا يعتل، ولا يتخلف منه شيء عن ميقاته لصلاح العالم، فسبحان العليم القدير**"(١).

فمن يطيل التفكير يجد تأمين معاش البشر على هذه الأرض أمر في غاية الدقة، فكل شئ متكامل لا يعتريه نقص ولا خلل، ولا عجز مما يدل على التخطيط المسبق، والتنظيم الكامل لكل شئ، فسبحان الخلاق العليم، وبذلك يتضح لنا معلَم التخطيط والتنظيم في كلام الإمام الغزالي.

(١) **الحكمة في مخلوقات الله**، ص٢٦.

المطلب الثاني
التسوية والتقدير

التسوية تعني: أنَّ جميع المخلوقات جاء خَلقُها وتكوينها محكمًا متناسبًا، وخاليًا من التفاوت، وأما التقدير فيعني: أن الله وضع في كل مخلوقٍ من المقومات ما يساعده على القيام بدوره على أكمل وجهٍ من جهة الكم، والطاقة، والشكل.

والتسوية لا تكون كاملة إلا مع التقدير الكامل، وهما مرتبطان بالمهمة التي أساسها النظام، وهو النتيجة المترتبة على كل هذه المعَالِم.

فقد أعطى الله (ﷻ) كل مخلوق من التسوية والتقدير ما يحقق له وجوده الذي يتناسب مع دوره تجاه جنسه ومع الإنسان.

وقد جمع (ﷻ) بين التسوية والتقدير في قوله: {**الَّذِى خَلَقَ فَسَوَّى ۝ وَالَّذِى قَدَّرَ فَهَدَى**}[(١)]، فالخلق تسوية، والتقدير هداية[(٢)].

وظهر هذا المعلَم عند الإمام الغزالي (رحمه الله) واضحًا في النماذج الآتية:

النموذج الأول: في حكمة خلق الأرض

من عظمة الخالق (ﷻ) في تسوية الأرض وتقديرها أن خلقها يابسة لينة، بما يحقق لها القيام بدورها على أكمل وجهٍ، **قال الإمام الغزالي** (رحمه الله)**: "ثم إنَّ الأرضَ طَبَعها اللهُ باردة يابسة بقدر مخصوص، أرأيت لو أفرط اليبس عليها حتى تكون بجملتها حجرًا صلدًا لمَا كانت تنبت هذا النبات الذي به حياة الحيوانات، ولا كان يمكن فيها حرث ولا بناء فجعل لينها لتتهيأ لهذه الأعمال"**[(٣)].

---

(١) [الأعلى: ٢، ٣].

(٢) ينظر: الآيات الإنسانية والكونية وسائل دعوية وهداية ربانية، د. محمدي عبد البصير، مرجع سابق.

(٣) **الحكمة في مخلوقات الله**، ص٢٨.

وهذه الصورة من التسوية والتقدير التي أشار إليها الإمام الغزالي فسَّرها علم الجيولوجيا بأن الأرض تتكون من طبقات[١] أولها الطبقة الصخرية؛ كي تكون الأرض قرارًا ثابتًا، ثم وضع فوقها طبقة رقيقة من التربة لا تتجاوز أمتارًا معدودة، وإلا لغاص الإنسان فيها ولم يستطع الحياة عليها[٢] ، فلم تكن فِي غَايَةِ الصَّلَابَةِ كَالْحَجَرِ؛ فَإِنَّ النَّوْمَ وَالْمَشْيَ عَلَيْهَا مِمَّا يُؤْلِمُ الْبَدَنَ، وَأَيْضًا فَلَوْ كَانَتِ الْأَرْضُ مِنَ الذَّهَبِ مَثَلًا لَتَعَذَّرَتِ الزِّرَاعَةُ عَلَيْهَا، وَلَا يُمْكِنُ اتِّخَاذُ الْأَبْنِيَةِ مِنْهُ لِتَعَذُّرِ حَفْرِهَا وَتَرْكِيبِهَا كَمَا يُرَادُ، وَأَنْ لَا تَكُونَ فِي غَايَةِ اللِّينِ، كَالْمَاءِ الَّذِي تَغُوصُ فِيهِ الرِّجْلُ[٣]. فسبحان من سواها وقدرها على هذه الصورة.

النموذج الثاني: في حكمة خلق الجبال

من مظاهر تسوية الله للأرض وتقديرها، خلق الجبال، وهو ما **أشار إليه الإمام** (رحمه الله) **بقوله: "فقد خلق** (سبحانه وتعالى) **فيها الجبال لمنافع متعددة لا يحيط بجميعها إلا الله، فمن ذلك أن الله تعالى أنزل من السماء المياه ليحيي بها العباد والبلاد، فلو كانت الأرض عارية عن الجبال لحكم عليها الهواء وحر الشمس مع رخو الأرض، فكانوا لا يجدون المياه إلا بعد حفر وتعب ومشقة، فجعل** (سبحانه وتعالى) **الجبال لتستقر في بطونها المياه ويخرج أولًا بأولٍ"[٤].**

---

(١) أثبتت دراسات الأرض أنها تتبني من عدة نطق محدودة حول كرة مصمتة من الحديد والنيكل تعرف باسم: لب الأرض، لكل نطاق من نطق الأرض دوره في جعل هذا الكوكب صالحًا للعمران بالحياة الأرضية في جميع صورها. ينظر: من آيات الإعجاز العلمي الأرض في القرآن الكريم ص٩٠ وما بعدها، د. زغلول النجار.

(٢) الموسوعة الكونية الكبرى ص ١٨١، وما بعدها بتصرف.

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب ٣٣٧/٢).

(٤) **الحكمة في مخلوقات الله**، ص٣١.

فالجبال تعمل كالأسفنج لتجميع وترشيح الماء العذب النقي من بخار الجو المحيط[١]؛ فبسبب الْجِبَالِ تَتَوَلَّدُ الْأَنْهَارُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْحَجَرَ جِسْمٌ صُلْبٌ فَإِذَا تَصَاعَدَتِ الْأَبْخِرَةُ مِنْ قَعْرِ الْأَرْضِ وَوَصَلَتْ إِلَى الْجَبَلِ احْتَبَسَتْ هُنَاكَ فَلَا تَزَالُ تَتَكَامَلُ، فَيَحْصُلُ تَحْتَ الْجَبَلِ مِيَاهٌ عَظِيمَةٌ، ثُمَّ إِنَّهَا لِكَثْرَتِهَا وَقُوَّتِهَا تَثْقُبُ وَتَخْرُجُ وَتَسِيلُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَمَنْفَعَةُ الْجِبَالِ فِي تَوَلُّدِ الْأَنْهَارِ هُوَ مِنْ هَذَا الوجه، وَلِهَذَا السَّبَبِ فَفِي أَكْثَرِ الْأَمْرِ أَيْنَمَا ذَكَرَ اللَّهُ الْجِبَالَ قَرَنَ بِهَا ذِكْرَ الْأَنْهَارِ[٢] مِثْلَ مَا فِي قَوْلِهِ: **{وَجَعَلْنا فِيها رَواسِيَ شامِخاتٍ وَأَسْقَيْناكُمْ مَاءً فُراتاً}**[٣].

كما أنَّ وجودها يجعلها تكسر تيار الكرة الهوائية المحيطة بالأرض فيعتدل تياره حتى تكون حركة الأرض في كرة الهواء غير سريعة[٤].

النموذج الثالث: في حكمة خلق الماء

وبرز معلَم التسوية والتقدير في حديث الإمام الغزالي (رحمه الله) عن خلق الماء، **فقال: "وانظر إلى ما يسره (سبحانه وتعالى) في خلقه الماء، إذ هو جسم لطيف رقيق سيال متصل الأجزاء كأنه شيء واحد، لطيف التركيب، سريع القبول للتقطع، حتى كأنه منفصل مسخر للتصرف، قابل للاتصال والانفصال، حتى يمكن سير السفن فيه"**[٥].

يشير الإمام الغزالي (رحمه الله) إلى بعض الخصائص الفيزيائية والكيميائية للماء[٦]، حيث إنَّ المياه بحالتها السائلة هي حتى الآن إحدى الخصائص الفريدة

---

(١) **الرواسي الشامخات والماء الفرات**، ص٨، د. منصور حسب النبي، ط: دار الفكر العربي– القاهرة ٢٠١٠م.

(٢) **مفاتيح الغيب** ٦/١٩).

(٣) [الْمُرْسَلَاتِ: ٢٧].

(٤) **التحرير والتنوير** ١٥/٣٠).

(٥) **الحكمة في مخلوقات الله**، ص٣٥.

(٦) ينظر: مبادئ وأسس علوم البحار، ص٤٥ وما بعدها، د.عواد عبده محمد، ط: مركز تامر للطباعة– الأميرية ٢٠٠٢م.

والمهمة التي تتميز بها الكرة الأرضية عن بقية الكواكب السيارة ضمن المجموعة الشمسية، فمياه البحار والمحيطات محلول عظيم من الأملاح والمواد المعدنية والعضوية[١]، وهذه الخصائص هي التي تجعل الإنسان يستفيد منها في أغراضه كلها.

النموذج الرابع: في حكمة خلق الهواء

يقول الإمام الغزالي (رحمه الله): "**اعلم رحمك الله أن الهواء في خلقه تتخلخله الرياح، ولو لا ذلك لهلك جميع حيوان البر**"[٢].

هنا يُشير الإمام الغزالي (رحمه الله) إلى خلق الهواء على هذه الصورة من الخلخلة والمسافات البينية بين أجزائه؛ حتى يؤدي دوره الذي خُلِق من أجله، ذلك أن الشمس عندما ترسل أشعتها إلى سطح الأرض اليابسة فترتفع حرارتها وتصل إلى درجات أكبر بكثير من درجات حرارة الأسطح المائية، وبذلك يصير الهواء الذي يعلو اليابسة أسخن من هواء البحر، ومن المعروف أن الهواء عندما يسخن يتمدد، وبذلك تقل كثافته لازدياد المسافات الفاصلة بين جزيئاته، ويصبح بذلك أقل ضغطًا، بعكس الهواء البارد فوق البحر فهو كثيف نسبيًا لتكدس جزيئاته، فهو بذلك أكبر ضغطًا من الهواء الساخن، وتكون النتيجة تحرك الهواء في صورة رياح تحت تأثير فروق الضغط على اليابسة والبحار[٣]، لذلك يشعر بنسيم البحر العليل من يسكن قريبًا من السواحل.

---

(١) **الموسوعة الكونية الكبرى**، ص١٧٧.

(٢) **الحكمة في مخلوقات الله**، ص٣٨.

(٣) ينظر: الكون كتاب الله المنظور آيات ودلالات الرياح نعمة ونقمة، ص٧، د. منصور حسب النبي، ط: دار الفكر العربي- القاهرة ٢٠١٠م.

المطلب الثالث
التوافق والتوازن

التوافق معناه توافق المخلوقات في العمل، ومع طبيعة الإنسان ومهمته، والتوازن يعني توازن المخلوقات فيما بينها بغير زيادة ولا نقص عن الحاجة، وهذا المعلَم مر تبط بالمعلَمين السابقين، فالتنظيم يقتضي الخلق في تسوية وتقدير، وعليهما يترتب أسلوب العمل بينها(١).

إنَّ التوافق والتوازن يقتضي أن يقوم كل مخلوقٍ بعمله؛ ليبقى الكون محفوظًا آمنًا، وقد جاءت المخلوقات على الحجم، والشكل، والأعداد، والأنواع التي تحقق ذلك، فالكون متوازن ومتناسب إلى حد لا يمكن تصوره، ومن ثَمَّ فلا نقص في التخصصات، ولا زيادة في الأعمال والمهمات.

والأمثلة على ذلك كثيرة، وضابطها أننا إذا رفعنا من الكون مخلوقًا خلقه الله، أو غيرنا من وضعه وهيئته، أو تدخلنا بالإيذاء الذي يعوقه عن القيام بدوره بصورة من الصور، أو أضفنا شيئًا لا نعرف حدوده، فإننا بذلك نكون قد أحدثنا خللًا في التوافق والتوازن الكوني والبيئي، والله تعالى يقول: **{ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}**(٢) ويتصل بذلك التأمل في المخلوقات ما الذي يحدث لو زادت عن حجمها أو تغير مكانها؟ وما النتيجة لو تأخر دوران الأرض، أو زادت سرعة الشمس، أو رُفع الغلاف الجوي، أو زاد قاع المحيط عمقًا، أو نقصت حشرة، أو استغني عن نبات أو حيوانٍ أو طير؟ قطعًا يكون هناك خللًا، يؤدي إلى الفساد بما كسبت أيدي الناس(٣).

---

(١) وهذا يؤكد أن المعالم الأربعة تتكامل وتجتمع في جميع الخلوقات.

(٢) [الروم: ٤١].

(٣) ينظر: الآيات الإنسانية والكونية وسائل دعوية وهداية ربانية، للدكتور/ محمدي عبد البصير.

كل هذه الصور وغيرها من التوافق والتوازن في الموجودات نستعرضها من خلال عرض نماذج من كلام الإمام الغزالي على النحو الآتي:

النموذج الأول: في حكمة خلق الشمس

تحدث الإمام (رحمه الله) عن التوافق والتوازن بين حركة الشمس واستقامة الفصول الأربعة، **فقال: "ثم بتقدمها وتأخرها تستقيم الفصول فيستقيم أمر النبات والحيوان، ثم انظر إلى مسيرها في فلكها في مدة سنة، وهي تطلع كل يوم وتغرب بسير آخر سُخِّرَ لها بتقدير خالقها، فلولا طلوعها وغروبها لما اختلف الليل والنهار، ولما عرفت المواقيت.....، وانظر إلى إيلاجه الليل في النهار، والنهار في الليل، وإدخاله الزيادة والنقصان عليهما على الترتيب المخصوص، وانظر إلى إمالة سير الشمس حتى اختلف بسبب ذلك الصيف والشتاء، فإذا انخفضت من وسط السماء برد الهواء وظهر الشتاء. وإذا استوت وسط السماء اشتد القيظ، وإذا كانت فيما بينهما اعتدل الزمان فيستقيم بذلك أمر النبات والحيوان بإقامة هذه الأزمنة الأربعة من السنة"**[١].

هنا نلاحظ التوافق والتوازن في دورة العمل بالنسبة للشمس والأرض، والحقيقة التي أثبتتها علوم الرياضيات والفيزياء والفلك هي أن حركة الشمس والقمر والكواكب والنجوم في القبة السماوية يوميًا إنما تتم من الغرب إلى الشرق، فالشمس تنتقل في الفضاء وتجر معها بالجاذبية كواكبها التي تدور حولها[٢].

وينتج عن تلك الحركة الدائبة من تنوع الفصول، واستقامة الحياة على الأرض، فسبحان المدبر لذلك كله.

---

(١) **الحكمة في مخلوقات الله**، ص٢٠

(٢) **الموسوعة الكونية الكبرى**، ص٢١٣.

النموذج الثاني: في حكمة خلق القمر

بيَّن الإمام الغزالي (رحمه الله) معلَم التوافق والتوازن حين قارن بين ضوء الشمس ونور القمر، **فقال: "وينقص نوره [أي القمر] عن نور الشمس وحرها؛ لئلا ينشط الناس في العمل نشاطهم في النهار فينعدم ما به يتمتعون من الهدوء والقرار فيضر ذلك بهم"**(١).

تعد الشمس نجمًا وسطًا بين نجوم الكون، فهي متوسطة الحجم، وهي متوسطة أيضًا من حيث مقدار ضوئها وحرارتها(٢)، وقد وازن الإمام الغزالي هنا بين نور القمر وضوء الشمس، فلاحظ أنه ينقص نوره عن ضوء الشمس وحرها، وذلك يُعد توازنًا في الخلق ودورة العمل معًا، فالشمس هي فرن نووي ملئ بالطاقات النووية، وأن القمر هو كوكب بارد يعكس أشعة الشمس من على سطحه، فيكون ما صدر عنه نورًا(٣).

وصدق الله إذ يقول: **{هُوَ الَّذِى جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}**(٤)، فجعل الشمس ضياءً والقمر نورًا؛ لأن ضياء الشمس ذاتي، وأما القمر نوره ليس من ذاته، إنما هو من توسطه بين الأرض والشمس، ونوره عرضي وليس ذاته نورا كالشمس في أن ذاتها ضياء، ولقد أدرك هذا بعض المفسرين الأقدمين الذين لم يعنوا بدراسة الأجرام السماوية(٥).

---

(١) **الحكمة في مخلوقات الله**، ص٢٣.

(٢) ينظر: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم في مجال الآفاق، ص٥٦٠، د. محمد كرم الله الظواهري.

(٣) ينظر: المرجع السابق، ص٥٨٤.

(٤) [يونس: ٥].

(٥) **زهرة التفاسير**، ٣٥١٧/٧).

النموذج الثالث: في حكمة خلق البحر

ظهر معلَم التوافق والتوازن واضحًا في كلام الإمام الغزالي (رحمه الله) حين تكلم عن حجم البحر وما فيه من مخلوقات، وحجم الأرض وما عليها، فكان ما في البحر أضعاف ما على الأرض، حيث **يقول: "فجميع المكشوف من البراري والجبال عن الماء بالإضافة إلى الماء كربوة صغيرة في بحر عظيم، فاعلم أن ما خلق في الأرض من الحيوان بالإضافة إلى ما خلق في البحر كإضافة الأرض إلى البحر..... وما من صنفٍ من أصنافِ حيوانِ البرِ من إنسانٍ، وطائرٍ، وفرسٍ، وبقرٍ، وغير ذلك إلا وفي البحر أمثالها وأضعافها"**(١).

ما ذكره الإمام الغزالي من المقارنه بين توزيع اليابس والماء على سطح الكرة الأرضية بتوازن عجيب هو ما أكده العلم الحديث بواسطة الأقمار الصناعية، حيث نجد الكتل المائية تغطي ما يقرب من ٧١% من سطح الكرة الأرضية، شاغلة مساحة تساوي ٣٦١ مليون كم^{٢}، ويشكل الماء المالح ٩٨% منها، بينما حجم الماء العذب لا يتعدى أكثر من ٢% فقط من تلك الكتلة(٢)، كما أن الكائنات المائية أضعاف مضاعفة من الكائنات الأرضية(٣). فسبحان الله هذا التوافق والتوازن بين حجم الماء وما فيه من كائنات حية وقاعيات وعوالق وأعشاب بحرية وشعاب مرجانية، وغيرها الكثير مما لا يحيط بعلمه إلا الله.

---

(١) **الحكمة في مخلوقات الله**، ص ٣٤.

(٢) ينظر: مبادئ وأسس علوم البحار، ص٣٥، أ.د. عواد عبده.

(٣) ينظر: المرجع السابق، ص١٤٣.

المطلب الرابع
العناية والتدبير

من تأمل الكائنات وجد أنها مملوءة بمظاهر العناية والتدبير، والإنسان هو محل العناية والهداية من الله تعالى في طعامه وشرابه، وفي كل شأن من شئون حياته، فقد أحاطه (ﷻ) بالنعم ظاهرة وباطنة، إنها عناية الله التي تشمل الإنسان وهو في عالم الأجنة، وتحوطه في مراحل حياته الدنيوية والأخراوية[١].

وقد ظهر في كلام الإمام الغزالي (رحمه الله) خلال بيانه الحكمة في مخلوقات الله الكونية مدى لطف الخالق (ﷻ) وعنايته وتدبيره لآمور العباد، فكل ما في الكون من تخطيطٍ وتقديرٍ وتوافقٍ وتوازنٍ، إنَّما هو في حقيقة الأمر عناية بالإنسان، وتدبير لشأنه، وهذه بعض النماذج الدالة على ذلك:

النموذج الأول: التفكر في خلق السماء وفي هذا العالم

في بيان تهيئة الكون للإنسان، ومناسبته لطبيعته، **قال الإمام الغزالي** (رحمه الله): "**والإنسان كالمالك للبيت المخول لما فيه، فضروب النبات لمآربه، وأصناف الحيوانات مصروفة في مصالحه، فخلق (ﷻ) السماء، وجعل (ﷻ) لونها أشد الألوان موافقةً للأبصار، وتقويةً لها، ولو كانت أشعةً، أو أنوارًا لأضرت الناظر إليها، فإن النظر إلى الخضرةِ والزرقةِ موافق للأبصار، وتجد النفوس عند رؤية السماء في سعتها نعيمًا وراحة**"[٢]

فقوله: "**فضروب النبات لمآربه، وأصناف الحيوانات مصروفة في مصالحه**" كل ذلك من باب العناية والتدبير، وخلق السماء على هذه الصورة، وموافقة لونها لراحة البصر، وبهجة النفس، أليس كل ذلك من باب العناية والتدبير؟

---

(١) ينظر: الآيات الإنسانية والكونية وسائل دعوية وهداية ربانية ص ٤١-٤٢).

(٢) **الحكمة في مخلوقات الله**، ص١٥-١٦.

النموذج الثاني: في حكمة خلق الشمس

في حركة الشمس وما يكون من تعاقب الليل والنهار، **قال الإمام الغزالي** (رحمه الله): "**فالذي ظهر من حكمته فيها أن جعل حركتها لإقامة الليل والنهار في جميع أقاليم الأرض، ولو لا ذلك لبطل أمر الدنيا والدين، أو لولاه كيف كان الناس يسعَون في معايشهم؟ ويتصرفون في أمورهم والدنيا مظلمة عليهم؟ وكيف كانوا يتهنّون بالعيش مع فقدهم لذة النور ومنفعته؟ ولولا ضياء نورها ما انتُفِع بالأبصار، ولم تظهر الألوان**"(١).

ثم بيَّن أن من رعاية الله لعباده وحسن تدبيره لهم أن جعل كل هذه المنافع في حركة الشمس وطلوعها، وحتى في غيبتها وغربها جانبًا آخر من العناية والتدبير، **فيقول:** "**وتأمّل غروبها وغيبتها عمّن طلعت عليهم وما في ذلك من الحكمة، ولولاه لم يكن للخلق هدوء ولا قرار مع شدة حاجتهم إلى الهدوء وراحة أبدانهم**(٢)" **إلى أن يقول:** "**فهي بطلوعها في وقتٍ وغروبها في وقتٍ بمنزلة سراج لأهل بيت يستضاء به وقتًا، ويغيب وقتًا ليَهتدوا ويقَروا**"(٣).

وأخيرًا وفي مظهرٍ من مظاهر العناية يتجلى في أشعة الشمس التي تعم الجميع دون استثناء، **يقول:** "**تأمل إشراق الشمس على العالم كيف دبره** (سبحانه وتعالى)، **فإنها لو بزغت في موضع واحد لها لا تعدوه لما وصل شعاعها إلا إلى جهة واحدة وخلت عنها جميع الجهات فكانت الجبال والجدران تحجبها عنها، فجعلها** (سبحانه وتعالى) **تشرق بطلوعها أول النهار من المشرق فيعم شروقها ما يقابلها من جهة المغرب، ثم لا تزال تدور وتغشى جهة بعد جهة حتى تنتهي إلى الغرب على ما استتر عنها أول النهار، فلا يبقى موضع حتى يأخذ بقسطه منها**"(٤).

---

(١) **الحكمة في مخلوقات الله**، ص١٨.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق نفسه ص١٩.

(٤) **الحكمة في مخلوقات الله**، ص٢١.

النموذج الثالث: في حكمة خلق الأرض

في خلق الأرض واستقرارها، وعدم اضطرابها، **يقول:** "**فإنها لو كانت رجراجة متحركة لم يستطيعوا أن يتقنوا شيئا من النبات، وجميع الصناعات، وكانوا لا يتهنون بالعيش والأرض ترتج بهم من تحتهم**"(١).

النموذج الرابع: في حكمة خلق الهواء

في بيان رحمة الله بخلقه أن فرَّق المطر بحركة الهواء، **يقول الإمام الغزالي** (رحمه الله): "**ثم انظر كيف يتفرق المطر بسبب حركة الهواء فيقع على الأرض قطرات، فلو لا حركة الهواء لكان الماء عند نزوله ينزل انصبابة واحدة فيهلك ما يقع عليه، ثم يجتمع بلل القطرات فيجتمع أنهارًا وبحارًا على وجه الأرض من غير تضرر، ويحصل بذلك مقصودهم على أحسن وجه، فانظر إلى أثر رحمة الله، فسبحان اللطيف بخلقه المدبر لملكه**"(٢).

لقد قسَّم علماء الفيزياء الجوية– حديثًا– الرياح إلى أنواعٍ مختلفةٍ حسب سرعتها، ولقد خص القرآن الكريم كل نوعٍ منها بوصفٍ إلهي في إعجاز علمي رائع(٣)، والإمام الغزالي (رحمه الله) يتحدث عن الريح الطيبة، وسرعتها تتراوح بين ١,٦ إلى ٤٠كم/ساعة وتتدرج بذلك من رياح خفيفة إلى منعشة إلى معتدلة، وهي التي تعمل على تفريق المطر فلا ينزل انصبابة واحدة فيهلك ما يقع عليه، وهذا من لطف الله بعباده، كما قال تعالى: {فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ}(٤).

---

(١) **الحكمة في مخلوقات الله**، ص٢٨.

(٢) المرجع السابق نفسه ص٣٩.

(٣) ينظر: الكون كتاب الله المنظور آيات ودلالات الرياح نعمة ونقمة، ص٩، د. منصور حسب النبي، مرجع سابق.

(٤) [الروم: ٥٠].

المبحث الثاني
الآثار الدعوية للآيات الكونية من خلال كتاب الحكمة في مخلوقات الله

وفيه مطالبان:

المطلب الأول
الآثار الدعوية المتعلقة بالخالق (ﷻ)

أورد الإمام الغزالي (رحمه الله) في كتابه الحكمة في مخلوقات الله العديد من الآثار الدعوية التي تتعلق بالخالق (ﷻ)، منها على سبيل المثال: أنها دلائل على وجوده تعالى، وصفاته (ﷻ) كالعلم، والإرادة، والقدرة، وهذه بعض نماذج توضح ذلك:

النموذج الأول: في حديثه عن الحكمة من خلق البحر

يقول الإمام الغزالي: "فالعجب ممن يغفل عن نعمة الله في هذا كله، وفي بعضه متسع للفكر، وكل ذلك شواهد متظاهرة ودلائل متضافرة وآيات ناطقة بلسان حالها مفصحة عن جلال بارئها، معربة عن كمال قدرته وعجائب حكمته، قائلة: أما ترى تصويري وتركيبي وصفاتي زمنا واختلاف حالي وكثرة فوائدي؟ أيظن ذو لب سليم وعقل رصين أني تلونت بنفسي أو أبدعني أحد من جنس؟ بل ذلك صنع القادر القهار العزيز الجبار"(١).

فمن أقوى الدلائل على وجوده (ﷻ) ما يسمى بـــ(دليل الحدوث) وهو ما أشار إليه الإمام الغزالي (رحمه الله)، ومعناه: أنه لابد لكل مخلوقٍ من خالقٍ، وقد نبّه القرآن الكريم إلى هذا الدليل في أكثر من موضع، فقال تعالى: {**أَمْ خُلِقُوا مِنْ**

(١) **الحكمة في مخلوقات الله**، ص٣٥.

غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ}[١]، فعند تأمل هذه الآيات نجد أن هناك إحتمالين لا ثالث لهما.

الأول: كون هذه المخلوقات وُجدت بدون خالق، وهذا أمر تنكره العقول، فالعدم لا يَخلق، فلابد لكل مخلوق من خالق، ولكل مصنوع من صانع.

الثاني: أن يكونوا خالقين أنفسهم، والكون بكل ما فيه، وهذا أيضًا مستحيل، فلو ادعى أحدٌ ذلك لاتهم بالجنون، فلم يتبق إلا أن يكون لهذا الكون خالقًا وموجدًا، وهذا دليلٌ في غاية القوة والبيان؛ دلالة الأثر على المؤثر يدركها العقل بداهة؛ لذا لما سمع جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ[٢] (ﷺ) هذه الآيات قَالَ: كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ[٣].

---

(١) [الطور: ٣٥، ٣٦].

(٢) جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف القرشي، كان أبوه هو الذي قام في نقض صحيفة القطيعة، وكان يحنو على أهل الشعب، ويصلهم في السر، وهو الذي أجار النبي (ﷺ) حين رجع من الطائف حتى طاف بعمرة، وعن جبير قال: قدمت على النبي (ﷺ) المدينة في فداء الأسرى، فاضطجعت في المسجد بعد العصر وقد أصابني الكرى فنمت، فأقيمت صلاة المغرب، فقمت فزعا بقراءة النبي (ﷺ) في المغرب: {وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ} [سورة الطور، الآيتان: ١ و ٢]، فاستمعت قراءته حتى خرجت من المسجد، فكان يومئذ أول ما دخل الإسلام قلبي. ينظر: تاريخ دمشق لابن عساكر ٤٢/٧٢).

(٣) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ (ﷺ)، قَالَ: "سَمِعْتُ النَّبِيَّ (ﷺ) يَقْرَأُ فِي المَغْرِبِ بِالطُّورِ، فَلَمَّا بَلَغَ هَذِهِ الآيَةَ: {**أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الخَالِقُونَ۝ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بَلْ لاَ يُوقِنُونَ۝ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ المُسَيْطِرُونَ**} قَالَ: كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ. صحيح البخاري ١٤٠/٦).

النموذج الثاني: عند حديثه عن خلق السماء

ذكر الإمام الغزالي (رحمه الله) أنها دليل على فاعلها، وسعة علمه، وإرادته (ﷻ)، فقال: "**فهي دلائل واضحة تدل على فاعلها، وصنعته مُحْكَمة صمديّة تدل على سعة علم بارئها، وأمور ترتيبها تدل على إرادة منشئها، فسبحان القادر العالم المريد**"(١).

فدلائل وجود الله (ﷻ) تتنوع ابتداءً من ضمير الإنسان وفطرته إلى كل ذرةٍ من ذرات الكون، فكلٌ شاهدٌ ومقرٌ أنَّ لهذا الكون ربًا مدبرًا.

فاستدل على سعة علم الله تعالى، بإحكام الصنعة وأنها دائمة إلى يوم القيامة، وأنَّ ترتيبها وتنظيمها دليل الإرادة، وفي نفس الوقت كل ذلك دليل على القدرة المطلقة لله تعالى؛ "لأن العالَم فعل محكم مرتب متقن منظوم مشتمل على أنواع من العجائب والآيات، وذلك يدل على القدرة، ونرتب القياس فنقول: كل فعل محكم فهو صادر من فاعل قادر، والعالم فعل محكم فهو إذاً صادر من فاعل قادر(٢).

النموذج الثالث: عند حديثه عن حركة الشمس، واختلاف الفصول

يؤكد الكلام عن حكمة الله وسعة علمه تعالى، فيقول: "**وانظر إلى إمالة سير الشمس حتى اختلف بسبب ذلك الصيف والشتاء،... فهذا مما يدلك على تدبير الحكيم العليم وسعة علمه**"(٣).

---

(١) **الحكمة في مخلوقات الله**، ص١٦-١٧.

(٢) **الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي**، ص: ٥١).

(٣) **الحكمة في مخلوقات الله**، ص٢١.

النموذج الرابع: عند حديثه عن القمر

يقول الإمام الغزالي (رحمه الله): "**في تصريف القمر خاصة في استهلاله ومحاقه وزيادته ونقصانه واستنارته وكسوفه، كل ذلك دلالات على قدرة خالقها المصرف لها هذا التصرف لإصلاح العالم**"(١).

ومن خلال ما تم عرضه لكلام الإمام الغزالي يمكن استنباط عدة أمور:

(أ) الصنعة تدل على الصانع.

(ب) إحكام الصنعة دليل على سعة علم الله.

(ج) خلق الكون بهذا الترتيب والتنظيم دليل على إرادة الله.

(د) لا يسع المتفكر في مخلوقات الله إلا تسبحه وتنزيهه عما لا يليق به (سبحانه وتعالى).

فقد وجه القرآن الكريم الإنسان إلى استجلاء حقيقة الإيمان بالله تعالى، والوقوف على دلائل القدرة، وآيات العظمة في الخلق والتكوين.

(١) **الحكمة في مخلوقات الله**، ص٢٤.

المطلب الثاني
الآثار الدعوية المتعلقة بالمخلوق

في بيان الحكمة من مخلوقات الله أشار الإمام الغزالي (رحمه الله) إلى بعض الآثار التي الدعوية التي تتعلق بالمخلوق، وهي على النحو الآتي:

أولا: لفت الأنظار إلى أنّ في الآيات الكونية نعمًا تستوجب الشكر، وأنّ فيها صلاح شأن الإنسان

فمن الأغراض المهمة التي اقترنت بذكر الآيات الكونية: سَوقُها للدلالة بها على إنعام الله على عباده، وتذكير الناس بذلك؛ لعلهم أن يَرْعَوُوا[١] عن المكابرة، ويقبلوا على النظر فيما يدعوهم إليه الرسول (ﷺ) تبليغًا عن الله[٢]، وهذا يعد أسلوبًا دعويًا أصيلًا من أساليب المنهج الحسي، ويظهر ذلك جليًا في كلام الإمام الغزالي (رحمه الله) على النحو الآتي:

١- في حكمة خلق القمر والكواكب يقول الإمام (رحمه الله): "**ثم في القمر علم الشهور والسنين، وهو صلاح ونعمة من الله، ثم في النجوم مآرب أخرى، فإن فيها دلائل وعلامات على أوقات كثيرة لعمل من الأعمال كالزراعة والغراسة والاهتداء بها في السفر في البر والبحر، وبها يهتدي السيَّارون في ظلمة الليل، وقطع القفار الموحشة واللجّج المائلة، كما قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِها فِى ظُلُماتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ}[٣]، مع ما في ترددها في السماء مقبلة ومدبرة ومشرقة ومغربة من البهجة والنضارة**"[٤].

---

(١) **ارْعَوى عَن القَبيحِ:** كَفَّ عَنهُ، ينظر: تاج العروس، للزبيدي ١٦٢/٣٨) مادة ر ع و).

(٢) **التحرير والتنوير** ١٤/٣٠).

(٣) [الأنعام: ٩٧].

(٤) **الحكمة في مخلوقات الله**، ص٢٤.

٢- في حكمة خلق الأرض يقول الإمام (رحمه الله): "**ومن الحكمة فيها خلق المعادن كما ذكرنا، فقد امتن (ﷻ) على سليمان (عليه السلام) بقوله: {وَأَسَلْنا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ}**[١]**، أي سهلنا له الانتفاع بالنحاس وأطلعناه على معدنه وقال امتنانا على عباده: {وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنافِعُ لِلنَّاسِ}**[٢] **، والنزول بمعنى الخلق، كما قال (ﷻ): {وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعامِ}**[٣] **أي خلق، والهمهم استخراج ما فيها من ذهب وفضة وغير ذلك لمنافعهم وما يحتاجون إليه في معاشهم ... وغير ذلك من أصناف ينتفعون بها فسبحان المنعم الكريم**"[٤].

٣- في حكمة خلق الأرض، لفت الأنظار إلى أن الله تعالى اختار للإنسان الأصلح له، يقول الإمام (رحمه الله): "**وانظر كيف خلق الله فيها الذهب والفضة وقدرهما بتقدير مخصوص ولم يجعل ذلك ميسرًا في الوجود والقدر مع سعة قدرته وشمول نعمته كما جعل هذه السعة في المياه وما ذلك إلا لما سبق في علمه لخلائقه مما هو الأصلح كما أشار إلى ذلك بقوله: {وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنا خَزائِنُهُ وَما نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ}**[٥]**، فسبحان العليم الحكيم**"[٦].

٤- في حكمة خلق البحر وما فيه يقول الإمام (رحمه الله): "**انظر كيف خلق الله اللؤلؤ مدورا في صدف تحت الماء وأثبت المرجان في جنح صخور في البحر. فقال (ﷻ): {يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجانُ}**[٧]**، وذلك في معرض الامتنان**"[٨].

---

(١) [سبأ: ١٢].

(٢) [الحديد: ٢٥].

(٣) [الزمر: ٦].

(٤) **الحكمة في مخلوقات الله**، ص٣١.

(٥) [الحجر: ٢١].

(٦) الحكمة في مخلوقات الله ص٣٢.

(٧) [الرحمن: ٢٢].

(٨) **الحكمة في مخلوقات الله**، ص٣٤.

٥- في حكمة خلق الماء يقول الإمام (رحمه الله): "**انظر وفقك الله إلى مَا مَنَّ به (سبحانه وتعالى) على عباده بوجود الماء العذب الذي به حياة كل من على وجه الأرض من حيوان ونبات، فلو اضطر الإنسان إلى شربة منه ومنع منها لهان عليه أن يبذل فيها جميع ما يمكنه من خزائن الدنيا، والعجب من غفلة العباد عن هذه النعمة العظيمة، فانظر في عمومها- يقصد الماء- وسهولة تناولها مع الغفلة عن قدرها مع شدة الحاجة إليها، فلو ضاقت لكدرت الحياة في الدنيا**"(١).

٦- في حكمة خلق النار يقول الإمام (رحمه الله): "**فلولاها لم يكن شيء من الانتفاع من هذه الأشياء، فبها يذاب النحاس فتعمل منه الأواني وغيرها، وقد نبه الله تعالى على مثل ذلك بأنها نعمة** توجب الشكر، فقال تعالى: **{اعْمَلُوا آلَ داوُدَ شكْراً}**(٢)، **وبه يلين الحديد، فيعملون به أنواعا من المنافع والآلات للحروب مثل الدروع والسيوف إلى غير ذلك مما يطول تعداده، وقد نبه الله تعالى على مثل هذا، فقال: {وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنافِعُ لِلنَّاسِ}**(٣)، **وقال تعالى: {لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شاكِرُونَ}**(٤).

ويقول أيضًا: "**فانظر ما أعظم قدر هذه النعمة التي جعل (سبحانه وتعالى) حكمها بأيديهم إن شاؤوا خزنوها وإن شاؤوا أبرزوها**"(٥).

---

(١) **الحكمة في مخلوقات الله**، ص٣٦.

(٢) [سبأ: ١٣].

(٣) [الحديد: ٢٥].

(٤) [الأنبياء: ٨٠].

(٥) **الحكمة في مخلوقات الله**، ص٤٤.

وتذكير العباد بالنعم جدير بأن يُوقظ العقول النائمة، ويحرك القلوب الغافلة، وهو من الأساليب الدعوية المستخدمة في خطاب الأنبياء لأقوامهم؛ فمن يطالع القرآن الكريم يجده مواضع كثيرة، منها: قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ}(١)، وقول هود (عليه السلام) لقومه: {وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}(٢)، وقول صالح (عليه السلام) لقومه: {وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ}(٣)، وقول شعيب (عليه السلام) لقومه: {وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ}(٤)، وقوله تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا}(٥)، فعلى كل داعيةٍ أن يجعل هذا الأسلوب ضمن أساليبه الدعوية، فنفعه عظيم، وتأثيره نافذ على القلوب، فالمؤمن في حاجةٍ عند حلول المحن والأزمات إلى تَذَكُر نعم الله عليه، واستعراض ألطافه الماضية؛ لئلا يستبد به الحزن في المصيبة، فيلقيه في أودية اليأس والقنوط.

(١) [سورة المائدة: ٢٠].
(٢) [سورة الأعراف: ٦٩].
(٣) [سورة الأعراف: ٧٤].
(٤) [سورة الأعراف: ٨٦].
(٥) [سورة الأحزاب: ٩].

ثانيًا: الترهيب والتخويف للناس لعلهم يتقون.

إنَّ من النفوس البشرية مَن لا يستجيبُ لنداء الحق إلَّا إذا خُوطبت بخاطبٍ فيه تهديد ووعيد، وكثيرًا ما جاء هذا في القرآن، قال تعالى: {**وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ**}(١)، وقال تعالى: {**فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ**}(٢)، وقال تعالى: {**وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا**}(٣)، والمتأمل في الآيات الكونية يجد هذا المعنى واضحًا فيها، وقد أبرزه الإمام الغزالي في حديثه عن حكمة خلق الأرض فقال (رحمه الله): "**فإنها لو كانت رجراجة متحركة لم يستطيعوا أن يتقنوا شيئًا من النبات وجميع الصناعات، وكانوا لا يتهنَّون بالعيش والأرض ترتج بهم من تحتهم، واعتبر ذلك بما يصيب الناس في الزلازل ترهيبًا للخلق وتخويفًا؛ لهم لعلهم يتقون الله، وينزعون عن الظلم والعصيان، فهذا أيضًا من الحكمة البالغة**(٤).

وترهيب العباد بالزلازل ما هو إلا بسبب ذنوبهم ومعاصيهم، قال ابن القيم (رحمه الله): "وقد يأذن الله (سبحانه وتعالى) للأرض فِي بعض الأحيان بالتنفس فَتحدث فِيهَا الزلازال الْعِظَام فَيحدث من ذَلِك لِعِبَادِهِ الْخَوْف والخشية والانابة والاقلاع عَن مَعَاصيه والتضرع إليه والندم ،كَمَا قَالَ بعض السّلف وَقد زلزلت الارض ان ربكُم يستعتبكم"(٥).

قال المهلب: "ظهور الزلازل والآيات أيضا وعيد من الله تعالى لأهل الأرض، والتخويف والوعيد بهذه الآيات إنما يكون عند المجاهرة بالمعاصى

---

(١) [البقرة: ٤١].

(٢) [النحل: ٥١].

(٣) [الإسراء: ٥٩].

(٤) **الحكمة في مخلوقات الله**، ص٥٨.

(٥) ينظر: مفتاح دار السعادة ١/٢٢١) بتصرف يسير.

والإعلان بها؛ ألا ترى قول عمر حين زلزلت المدينة فى أيامه: يا أهل المدينة، ما أسرع ما أحدثتم، والله لئن عادت لأخرجن من بين أظهركم"[١].

فيجب على العباد أن ينتبهوا لذلك فيجددوا التوبة دائمًا، حتى يحفظهم الله.

ثالثا: اتباع سنة التدرج.

إنَّ من الخصائص المميزة للشريعة الإسلامية خاصية التدرج، فكما أن رب العزة (ﷻ) تدرج في التشريع كتحريم الخمر مثلًا، كذلك التدرج في التأديب: فآخر الدواء الكي، فلا يجوز التعجل في استخدامه قبل إقامة الحجة وتقويم العوج بالوسائل المتاحة والتي نص عليها القرآن، قال تعالى: {**وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا**}[٢]، فعلى المجتمَع والأمّة بما تقتضيه الحكمة والمصلحةُ من التدرّج والرفق والأناة، ومراعاة فقه المهمّات والأولويات.

كذلك نجد التدرج أيضًا في السنن الكونية، وهذا ما أشار إليه الإمام الغزالي (رحمه الله) عند حديثه عن حركة الشمس واختلاف فصول السنة، فيقول: "**وكل ذلك يأتي على تدريج، وبقدر حتى لا يكون الانتقال دفعة واحدة**"[٣]، فمن الحكمة في الدعوة ألا يدخل الداعي على المدعو فيطلب منه تغيير كل شيء في حياته دفعة واحدة، فذلك مدعاة لتنفيره ودعوته لترك الانقياد والثبات على الدين؛ ولذا كان التدرج من خصائص الدعوة الإسلامية، قالت أم المؤمنين السيدة عائشة (رضي الله عنها): "إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ سُورَةٌ مِنَ المُفَصَّلِ، فِيهَا ذِكْرُ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَى الإِسْلاَمِ نَزَلَ الحَلاَلُ وَالحَرَامُ، وَلَوْ نَزَلَ

(١) ينظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال ٢٦/٣).

(٢) [النساء: ٣٤].

(٣) **الحكمة في مخلوقات الله**، ص٢١

أَوَّلَ شَيْءٍ: لاَ تَشْرَبُوا الخَمْرَ، لَقَالُوا: لاَ نَدَعُ الخَمْرَ أَبَدًا، وَلَوْ نَزَلَ: لاَ تَزْنُوا، لَقَالُوا: لاَ نَدَعُ الزِّنَا أَبَدًا..."[١]، فالتدرج أثر دعوي يستفيد منه الدعاة في منهج دعوتهم.

فالله تعالى يعلمنا سنة التدرج من خلال آياته الكونية، فقد خلق (ﷻ) خلق السموات والأرض في ستة أيام، فان قيل: فهلاَّ خلقها في لحظة، فانه قادر؟

أجيب على ذلك بخمسة أجوبة: أحدها: أنه أراد أن يوقع في كل يوم أمراً تستعظمه الملائكة ومن يشاهده، **والثاني:** أن التثبُّت في تمهيد ما خُلق لآدم وذرّيّته قبل وجوده، أبلغُ في تعظيمه عند الملائكة. **والثالث:** أن التعجيل أبلغ في القدرة، والتثبيت أبلغ في الحكمة، فأراد إظهار حكمته في ذلك، كما يظهر قدرته في قول: كُنْ فَيَكُونُ. **والرابع:** انه علّم عباده التثبُّت، فاذا تثبت من لا يزلُّ، كان ذو الزّلل أولى بالتثبُّت. **والخامس:** أن ذلك الإمهال في خلق شيء بعد شيء، أبعد من أن يُظن أن ذلك وقع بالطبع أو بالاتفاق[٢].

رابعا: الدعوة إلى العمران

الدعوة إلى العمران دعوة إلى التنمية المستدامة، حتى لا يتم استنزاف الثروات الطبيعة الكونية التي منحها الله تعالى للإنسان؛ ليحقق الهدف من استخلافه في الأرض وهو عمارتها، حيث يتأكد مدى عناية الإسلام بالعمليات التنموية، والحث على الأخذ بها؛ لتحقيق الكفاية والحياة الطيبة، لكافة الخلق، والتوصل إلى النمو المستمر للطيبات، بالاستخدام الرشيد لكل ما سخره الخالق

---

(١) **صحيح البخاري**، ١٨٥/٦).

(٢) **زاد المسير في علم التفسير**، ١٢٨/٢). ، لابن الجوزي المتوفى: ٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢هـ.

من موارد خلقت لخدمة الإنسان، وقد أشار الإمام الغزالي إلى ذلك على النحو التالي:

١- في حكمة خلق الأرض يقول الإمام (رحمه الله): "**انظر إلى ما خلق الله فيها من المعادن وما يخرج منها من أنواع الجواهر المختلفة في منافعها وألوانها مثل الذهب والفضة ... وأنواع لو عُدِّدَت لطال ذكرها وهو مما ينتفع به الناس وينصرف فيما يصلحهم، فهذه نِعَمٌ يسّرها (سبحانه وتعالى) لهم لعمارة هذه الدار**"(١).

هنا يشير الإمام الغزالي (رحمه الله) إلى أثرٍ من أهم الآثار الدعوية المستنبطة من الآيات الكونية، وهو الدعوة إلى العمران، وهو في الإسلام له مفهومان: "**الأول: القوة،** فكل عمل يقوم به المسلم ينبغي أن يكون متقناً، والقوة أساس الإتقان..، **والثاني الجمال:** وجمال البناء يبدو في تناسقه وترتيبه"(٢).

قال تعالى على لسان نبيه صالح: **{يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا}**(٣)، ومعنى{**وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا**} – أَيْ: أراد منكم عمارتها(٤)، وَجَعَلَكُمْ عُمَّارًا فِيهَا مِنَ الْعُمْرَانِ، فَقَدْ كَانُوا زُرَّاعًا وَصُنَّاعًا وَبَنَّائِينَ: وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ(٥)، فآية أمة لا تعمر الأرض إلاّ إذا ملكت وسائل التعمير وهى كثيرة، ومجموعها هو ما نسميه الحضارة أو المدنية(٦).

---

(١) **الحكمة في مخلوقات الله**، ص٢٨.

(٢) ينظر: الحجر والصَّولجان، ص٩٤، د. خالد عزب، ط: الدار المصرية اللبنانية– القاهرة، الأولى ٢٠١٤م.

(٣) [هود: ٦١].

(٤) **تفسير النسفي**، ٦٩/٢).

(٥) **تفسير المنار**، ١٠١/١٢).

(٦) **تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير**، ص: ٣٩٦).

ثم يتحدث الإمام الغزالي (رحمه الله) عن تهيئة الأرض لعمارتها، فيقول:" **انظر إلى إرادة إجادة عمارتها، وانتفاع العباد بها يجعلها هشة سهلة بخلاف ما لو كانت على نحو خلق الجبال فلو يبست كذلك لتعذرت**"(١).

٢- في حكمة خلق الماء يقول الإمام (رحمه الله): "**فعلم بهذا أن الله (ﷻ) أراد بإنزاله وتيسيره عمارة الدنيا بما فيها من حيوان ونبات ومعدن، إلى غير ذلك من المنافع التي يقصر عنها الوصف لمن يروم حصرها، فسبحان المتفضل العظيم**"(٢).

وأخيرًا وبالجملة فقد ذكر الإمام الغزالي بعض الفوائد التي لها أبلغ الأثر على الإنسان حال النظر إلى السماء، ولا شك أنها كلها آثار دعوية، فقال: "**في النظر إلى السماء عشر فوائد: تنقص الهم، وتقلل الوسواس، وتزيل وهم الخوف، وتذكر بالله، وتنشر في القلب التعظيم لله، وتزيل الفكر الرديئة، وتنفع لمرض السوداء، وتسلي المشتاق وتؤنس المحبين، وهي قبلة دعاء الداعين**"(٣).

ولا يتحقق هذا الفضل، وتلك المنزلة السامية، إلا من خلال عدة وسائل، يأتي على رأسها التفكر في الآيات الكونية التي يجد فيها كل إنسان ضالته من العلم والمعرفة، يجد ما يمتع العقل ويقنعه، ويُبهج الروح ويسعدها، ويؤدب الحواس والجوارح، ويهذب الملكات والنفس، ويوجه القدرات نحو الخير والرشاد.

(١) **الحكمة في مخلوقات الله**، ص٢٩.

(٢) المرجع السابق ص٣٧.

(٣) المصدر السابق نفسه ص١٧.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خير البريات، **وبعد،،،**

فلقد كانت رحلة مباركة في آفاق عقلية علمية آثرت المكتبة الإسلامية بعديد من المؤلفات النافعة، اتسمت بالذكاء، وسعة الأوفق، وقوة الحجة، وإعمال العقل، وشدة التبصر، مع شجاعة الرأي، وحضور الذهن، كل ذلك أهَّله ليكون رائدًا في علومٍ مختلفةٍ– منها مجال الآيات الكونية–؛ فكان بحقٍ فقيهًا، وأصوليًا، وفيلسوفًا، وصوفيًا، يحكمه في تلك العلوم إطار محكم من العلم الوافر، والعقل الناضج، البصيرة الواعية، والفكر الراشد، فصارت له الريادة فيها جميعًا، وأصبح من أعلام الثقافة الإسلامية، وقد وقفت على أهم النتائج والتوصيات على النحو الآتي:

أولا: نتائج البحث:

(١) التأمل في الآيات الكونية من شأنه زيادة الإيمان بالله، فكلما ازداد الإنسان معرفة بهذه الآيات ازداد معرفة بالله، كما فيها إقامة الحجة على الكافر، فهي شاهد بنفسها حيث يصعُب معها الإنكار.

(٢) الدعوة إلى البحث وتطوير العلم والمعرفة، فلو اطلع الملحدون على هذه الكمائن التي تأملها الإمام الغزالي في كتابه لأزتهم أزًا يؤول بهم إلى أن لهذا لكون إلهًا مدبرًا حكيمًا.

(٣) جاء بيان الإمام الغزالي عن الحكمة في مخلوقات الله دليلًا على وجود الخالق، وإرادته، وقدرته، وسعة علمه، مما ينفي نفيًا قاطعًا فرضية أن يكون العالم وُجد صدفةً.

(٤) ساق الإمام الغزالي الحكم من هذه الآيات الكونية؛ لبيان إنعام الله على عباده، وأن ينظروا متأملين هذه الآيات؛ لعلهم أن يَرْعَوُوا عن المكابرة.

(٥) أبان الإمام الغزالي أن في الآيات الكونية دلالة واضحة على التهديد والوعيد، والترهيب والتخويف للعباد؛ لعلهم ينزعون عن الظلم والعصيان.

(٦) معالم الآيات الكونية تدعونا إلى أخذ صفة النظام من حقل الكون، لتكون حياتُنا قائمة على التنظيم والتخطيط والترتيب، فلا تكون تصرفاتنا عشوائية قائمة على الارتجال والعبث.

(٧) أبرز الإمام الغزالي مَعلم (التخطيط والتنظيم) في حديثه عن خلق السماء، وكيف أنها كالبيت المبني المعد فيه ما يُحتاج إليه.

(٨) برز مَعلم (التسوية والتقدير) في حكمة خلق الأرض، وكيف أن الله تعالى طبعها بإرادته يابسة بقدر مخصوص، فلم يفرط في اليبس حتى تكون حجرًا صلدًا لا يمكن فيها حرث ولا بناء، وكذا في خلقه (ﷻ) للماء وجعله جسمًا رقيقًا سيالًا متصل الأجزاء كأنه شئ واحد، قابلً للإتصالا والانفصال حتى تتمكن السفن من السير فيه.

(٩) أكد مَعلم (التوافق والتوازن) في حديثه عن حكمة خلق الشمس واستقامة الفصول الأربعة؛ ليستقيم أمر النبات والحيوان، وكذا في حديثه عن التوازن بين ضوء الشمس ونور القمر، فبين نقصان نور القمر عن ضوء الشمس وحرها؛ لئلا ينشط الناس في العمل بالليل نشاطهم في النهار، فيحصل لهم الضرر بفقدان الهدوء والقرار.

(١٠) وأخيرًا جاء مَعلم (العناية والتدبير) واضحًا جليًا في حديثه عن رحمة الله بالخلق في تفريق المطر بسبب حركة الهواء، ولولا ذلك لكان الهلاك، وكذا في خلقه (ﷻ) للأرض مستقرة غير مضطربة، فإنها لو كانت رجراجة لم يهنأوا بعيش حال ارتجاجها.

ثانيا: التوصيات:

من أهم التوصيات التي يوصي بها الباحث:

(١) ينبغي للدعاة أن يدرسوا الوحيَ الشريفَ قرآنًا وسنةً دراسةً واعيةً للوقوف على آيات الله في الآفاق والأنفس، والإفادة منها في الوقت الحاضر.

(٢) تسليط الضوء على الجوانب التي لم يشتهر بها الأئمة؛ لأنَّ ذلك يساعد على نشر تراثهم، وتحقيق أقصى استفادة منه، مثلما أبرزت مجال الكونيات عند الإمام الغزالي.

(٣) يجب على الدعاة أن يتأسَّوا بهدي النبي (ﷺ) في كل شيء خاصة منهج التفكر الذي يؤدي إلى استجابة المدعوين.

(٤) العمل على تطبيق معالم الآيات الكونية في الواقع المعاش، يؤدي إلى اتقان العمل والتخلص من العشوائية، وعدم النظام.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم جلَّ مَن أنزله.

١- **الإعجاز العلمي في القرآن الكريم في مجال الآفاق**، د. محمد كرم الله حسن الظواهري، ط: دار الفوائد، الأولى ١٤٤٢هـ=٢٠٢٠م.

٢- **الاقتصاد في الاعتقاد، للإمام الغزالي الطوسي** (المتوفى: ٥٠٥هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ =٢٠٠٤م.

٣- **الآيات الإنسانية والكونية وسائل دعوية وهداية ربانية**، د. محمدي عبد البصير، مطبعة الصواف بالزقازيق ١٤٣١هـ=٢٠١٠م.

٤- **تاج العروس من جواهر القاموس**، مرتضى الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، الناشر: دار الهداية، بدون.

٥- **تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام**، للإمام شمس الدين الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣م.

٦- **تاريخ دمشق**، المؤلف: لابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م.

٧- **التحرير والتنوير**، للطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر– تونس، سنة النشر: ١٩٨٤هـ.

٨- **تفسير ابن باديس**، للإمام عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي (المتوفى: ١٣٥٩هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت– لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ = ١٩٩٥م.

٩- **تفسير المنار**، للشيخ محمد رشيد بن علي رضا (المتوفى: ١٣٥٤هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠م.

١٠- **تفسير النسفي** (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) للإمام النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م.

١١- **الحجر والصَّولجان**، د. خالد عزب، ط: الدار المصرية اللبنانية- القاهرة، الأولى ٢٠١٤م.

١٢- **زاد المسير في علم التفسير**، للإمام ابن الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، بدون.

١٣- **زهرة التفاسير**، للشيخ محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)، دار النشر: دار الفكر العربي.

١٤- **شرح صحيح البخارى**، لابن بطال، (المتوفى: ٤٤٩هـ)، مكتبة الرشد – السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ.

١٥- **طبقات الشافعية الكبرى**، لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ)، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ.

١٦- **طبقات الشافعية**، لتقي الدين ابن قاضي شهبة (المتوفى: ٨٥١هـ)، دار النشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ.

١٧- **الغلاف الجوي سقف محفوظ**، د. منصور محمد حسب النبي، ط: دار الفكر العربي- القاهرة ٢٠١٠م.

١٨- **الكون كتاب الله المنظور آيات ودلالات الرياح نعمة ونقمة**، د. منصور حسب النبي، ط: دار الفكر العربي- القاهرة ٢٠١٠م.

١٩- **للكون إله قراءة في كتابي الله المنظور والمسطور**، د. صبري الدمرداش، مكتبة المنار الإسلامية- الكويت، ط: الثانية ١٤٢٧هـ= ٢٠٠٦م.

٢٠- **مبادئ وأسس علوم البحار**، د. عواد عبده محمد، ط: مركز تامر للطباعة- الأميرية ٢٠٠٢م.

٢١- **مغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار**، لبدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م.

٢٢- **مفاتيح الغيب = التفسير الكبير**، للإمام الرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة- ١٤٢٠هـ.

٢٣- **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، لابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

٢٤- **من الإعجاز العلمي في القرآن**، د. حسن أبو العنين، ص٧٧، الطبعة الأولى، مكتبة العبيكان- الرياض، ١٤١٦هـ=١٩٩٦م.

٢٥- **من آيات الإعجاز العلمي الأرض في القرآن الكريم**، د. زغلول النجار، ط: دار المعرفة- بيروت- الأولى ١٤٢٦هـ= ٢٠٠٥م.

٢٦- **المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور**، للإمام العِرَاقِيُّ (المتوفى: ٦٤١هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر التوزيع، سنة النشر ١٤١٤هـ.

٢٧- **الموسوعة الكونية الكبرى**، د. ماهر أحمد صوفي،ط: المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، الأولى ١٤٢٨هـ=٢٠٠٧م.

٢٨- **الوافي بالوفيات**، للصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ) الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، عام النشر:١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

٢٩- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، لابن خلكان (المتوفى: ٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر – بيروت.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الملخص باللغة العربية	١١١
الملخص باللغة الإنجليزية	١١٣
مقدمة	١١٤
تمهيد	١١٩
المطلب الأول: التعريف بالإمام الغزالي	١١٩
المطلب الثاني: عرض موجز لمنهج الإمام الغزالي في كتابه الحكمة في مخلوقات الله	١٢٤
المبحث الأول: أبرز معالم الآيات الكونية في كتاب الحكمة في مخلوقات الله	١٢٦
المطلب الأول: التخطيط والتنظيم	١٢٦
المطلب الثاني: التسوية والتقدير	١٣١
المطلب الثالث: التوافق والتوازن	١٣٥

المطلب الرابع: العناية والتدبير	١٣٩
المبحث الثاني: الآثار الدعوية للآيات الكونية في كتاب الحكمة في مخلوقات الله	١٤٢
المطلب الأول: الآثار الدعوية المتعلقة بالخالق	١٤٢
المطلب الثاني: الآثار الدعوية المتعلقة بالمخلوق	١٤٦
الخاتمة	١٥٥
المراجع	١٥٨
فهرس الموضوعات	١٦٢